منهج الألوسي في النقد النحوي
في تفسيره روح المعاني

أ. م. د. محمد هادي البعاج
صادق خضر حمزة / جامعة الكوفة
كلية التربية الأساسية / قسم اللغة العربية

الملـخّـص

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء وتحقيق النظر على منهج الآلوسي في النقد النحوي في تفسيره الموسوم (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني)، لما يمتاز به هذا التفسير من أهمية بالغة عند أهل العلم، إذ يعد مثالا جامعا لجهود المفسرين السابقين له ومرجعا للاحقين لما فيه من مباحث علمية قيمة في مختلف العلوم التي منها علوم اللغة والإعراب التي لا غنى للمفسر عنها في استنطاق النص القرآني واستظهار معانيه، وقد سخر الآلوسي – كغيره من المفسرين - هذه العلوم في تفسير القرآن، ولما كان الآلوسي بارعا في علوم اللغة، وجامعا لأغلب الآراء التي قيلت في المسائل النحوية القرآنية صار لزاما عليه أن يعرض الآراء النحوية التي تتعلق بإعراب القرآن في تفسيره عرض ناقدٍ لا عرض سارد، فيقيّم الآراء التي يعرضها ويميز غثها من سمينها وراجحها من مرجوحها وفق منهج علميٍ اختطه لنفسه لتأدية هذا الغرض . من هنا جاء هذا البحث للتعريف بمنهج الآلوسي الذي سار عليه في عملية نقد الأقوال النحوية واختيار بعضها وردِّ الآخر، ولابد قبل الخوض في المنهج من التعريف بحياة الآلوسي باختصار وأهمية تفسيره عند العلماء، وكذلك التعريف بمصطلح النقد النحوي .

الكلمات المفتاحية: منهج . الالوسي . روح المعاني.

Summary

The current work aims to shed the light and realizes looking at Al-Ausi's methodology in the grammatical criticism in his interpretation which is (The essence of meanings in the Quran interpretation and the Surat Al-Fatihah), because of the wide importance of this interpretation to the scholars, which means a comprehensive example of the previous commentators efforts and a reference to the coming scholarly-based investigators due to its valuable scientific investigations in different sciences, which include linguistics and expression, that which is indispensable in the interrogation of the Qur'anic text and the recollection of its meanings.

Like other scholars in the same field, these sciences were facilitated in Quranic interpretation by Al-Alusi. For being proficient in the linguistic sciences and combining most of the opinions that have been said in the Qur'anic grammar issues, Al-Alusi has to present the grammatical opinions that relate to the expression of the Qur'an in his interpretation, a critical presentation not a narrative offer. In addition, he evaluates the presented opinions and addressing its pros and cons, superiority and inferiority on the basis of a scholar course that he has created for himself for the sake of pursuing that goal.

That why this study has concerned itself with identifying AL-Alusi's methodology that he had employed in tackling the grammatical utterances through opting out some of them and rejecting some others. It is necessary to address Al-Alusi's life in brief along with his exigence efforts that are cherished by scholars as well as defining the grammatical criticism term.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين . وبعد:

لقد أخذ الدرس النحوي حيّزا كبيرا ومجالا واسعا واهتماما بالغا لدى العلماء في الدراسات اللغوية قديما وحديثا لما له من أهمية كبرى وقيمة عظمى في كشف معاني النصوص والمفردات وبيان وجهتها وإعرابها, ونتيجة لهذا التوسع في علم النحو والعكوف على دراسته وتنقيته من الطبيعي أن تظهر هناك خلافات بين الدارسين في بعض فروعه وتطبيقاته مما أدى إلى أن يكون لزاما على العالم اللاحق في هذا العلم أن ينظر في آراء السابقين له من النحاة نظر ناقدٍ ليختار ما يراه راجحا ويرد ما يراه مرجوحا وفق منهج محدد ومقياس معين يسير عليه في عملية التمييز بين الآراء النحوية وهو ما أطلق عليه (النقد النحوي) ومن البديهي جدا أن يتسرب النقد النحوي إلى تفسير القرآن الكريم, إذ إن النحو هو أحد الأدوات المستعملة في التفسير للكشف عن معاني القرآن الكريم وبيان آياته ولابدَّ للمفسر – إذا استعمل النحو والإعراب في التفسير – من أن يرجح رأيا نحويا على آخر أو يختار قولا على غيره لتطبيقه على إعراب القرآن ومفرداته, وهذا هو ما قام به الآلوسي في تفسيره للقرآن الكريم الموسوم (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) عند إعرابه الآيات الكريمة, فكان يعرض الآراء السابقة له عرض ناقدٍ فيختار ما يراه أهلا للاختيار ويرد ما لا يراه مناسبا فتكونت في تفسيره مباحث وآراء في النقد النحوي, فجاء بحثي المتواضع هذا ليسلط الضوء على منهجه في النقد النحوي فكان على مباحث هي:

المبحث الأول

من حياة الآلوسي وأهمية كتابه (روح المعاني)

هو السيد الشيخ شهاب الدين محمود بن السيد عبد الله أفندي الألوسي البغدادي, ولد في بغداد سنة 1217ه في عائلة معروفة بالعلم والتحصيل والمعرفة فأخذ العلم من أبيه السيد عبد الله الآلوسي, واشتغل بالتدريس والتأليف وهو ابن ثلاث عشرة سنة, وكان جل ميله لخدمة كتاب الله ، وحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لأنهما المشتملان على جميع العلوم ، وإليهما المرجع في المنطوق والمفهوم [1] . ذكره الزركلي الدمشقي ت1396ه في الأعلام فقال: ((محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي ، شهاب الدين ، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد))[2] .

له كثير من المؤلفات والمصنفات, ولعل من أهمها تفسيره الموسوم: (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) لما فيه من الموسوعية والثراء العلمي الكبير, ففيه عقائد وأحكام وتأويل وفلسفة وبلاغة ولغة وإعراب ونقد نحوي ونقد أدبي وغيرها, حتى عد خاتمة التفاسير لتعسُّر الإتيان بتفسير أكثر منه موسوعية وثراءً علميا أو حتى مساويا له . وقد أثنى عليه وعلى تفسيره كثير من العلماء والمفسرين منهم محمد بن عبد العظيم الزرقاني ت 1367هـ إذ قال: ((وأما تفسير الألوسي فاسمه روح المعاني ومؤلفه العلامة المحقق شهاب الدين السيد محمد الألوسي البغدادي مفتي بغداد وألف وهذا

التفسير من أجل التفاسير وأوسعها وأجمعها نظم فيه روايات السلف بجانب آراء الخلف المقبولة وألف فيه بين ما يفهم بطريق العبارة وما يفهم بطريق الإشارة))[3], وذكره الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور (ت1393هـ) فقال: ((فسلك فيه مسلك التفسير اللغوي, يهتم أولا ببيان موقع المفرد أو المركب من جملة الكلام معتمدا على قواعد الإعراب واستعمالات البلاغة ومعتصما بانسجام المعاني وتسلسل الأغراض))[4] وكذلك قال غيرهم[5] . إذاً فهو كما أشاروا إليه وإلى تفسيره, كلٌ منهما شاهد على فضل الآخر بالعلم والمعرفة والإبداع والنبوغ والبلوغ في مختلف العلوم ومنها علوم العربية والإعراب التي عليها مدار الأفهام واستنباط الأحكام من كلام الملك العلَّام الذي جعله ﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ الزمر 28 .

المبحث الثاني

التعريف بمصطلح النقد النحوي

مصطلح النقد النحوي ليس مصطلحا مستقرا ولا مبرزا في الاستعمال في الأوساط العلمية قديما وإنما هو مصطلح مستنبط كعنوان لأعمال متفرقة في الآثار العلمية التي قام بها بعض العلماء ناسب تسميتها بـ(النقد النحوي) واستعمل في الآونة الأخيرة عنوانا للعديد من الرسائل الجامعية مختلفة الميادين .

وهذا المصطلح مكون من مفردتين, فهو ينسب النقد إلى النحو, ولابد من التعريف بهما أولا, فالنقد في اللغة هو التمييز كما عرفه الفراهيدي ت170هـ فقال: ((نقد: النَّقْدُ: تمييز الدراهم وإعطاؤكها إنساناً وأخذها))[6] فأصل النقد هو تمييز الجيّد من الرديء, ولكن لأنه كان مختصا بالدراهم عرِّف بما ارتبط به فقيل (تمييز الدراهم), وقد ذكرت معانٍ أخرى للنقد[7] لا ارتباط لها بما نحن فيه .

أما النحو: فهو في اللغة القصد, قال الفراهيدي: ((النَّحْوُ: القَصْدُ نَحْوَ الشّيء))[8], وأما في الاصطلاح فهو العلم المختص بإعراب الكلام العربي, قال الفارابي ت350هـ: ((النَّحْو: إعرابُ الكلامِ العربي. وأَصْلُه القَصْد))[9], وعليه يكون (النقد النحوي) هو تمييز الآراء المختصة بإعراب الكلام العربي ومعرفة الرأي القوي من الضعيف أو الصواب من الخطأ أو الراجح من المرجوح .

ولم يكن النقد في بداية ظهوره مرتبطا بعلم النحو, بل أنه ظهر قبل نشوء علم النحو, فأول الأعمال النقدية كانت مرتبطة بالأدب ، إذ ظهرت بواكير النقد الأدبي في عصر ما قبل الإسلام, ومن أمثلتها ما روي عن النابغة الذبياني أنه كانت تضرب له قبة حمراء في سوق عكاظ فيقصده الشعراء ليعرضوا عليه شعرهم ليميز لهم الجيد من الرديء[10] .

أما النقد النحوي فظهر بعد ظهور علم النحو وتعدد الأقوال والآراء في بعض مسائله وفروعه تبعا لتعدد الاجتهادات أو الاختلاف في تطبيق بعض المفاهيم على مصاديقها أو العناوين على مواضيعها, فتصدى بعض العلماء

لتفضيل قول مدرسة نحوية على أخرى أو مذهب على غيره, وترجيح الراجح وردِّ المرجوح وفقا لقواعد ومرجحات اعتمدوا عليها في تقييمهم, وليس الهدف من النقد النحوي هو تقييم النتاج النحوي هل هو جيد أو غير جيد – كما في النقد الأدبي – بل هو تمييز الأقوال المتعددة في المسألة النحوية الواحدة لمعرفة الصواب من الخطأ أو الراجح من المرجوح للإفادة العلمية في المسألة .

أما النقد النحوي في تفسير القرآن الكريم فهو مرتبط بالشواهد القرآنية التي يظهر فيها أكثر من وجه إعرابي أو أكثر من قول للمفسرين أو المعربين, فيأتي دور المفسر اللاحق ليختار قولا على قول أو يرجح رأيا على رأي وفقا لما يراه من مرجحات ومناسبات, وبالتالي يتبنى المعنى الذي نتج من الوجه الإعرابي الذي اختاره, وهذا باختصار هو ما فعله الآلوسي في تفسيره.

المبحث الثالث

منهجه في النقد النحوي

لم يكن الآلوسي ناقدا نحويا متخصصا بالنقد النحوي وإنما هو عالم وفقيه وأديب ولغوي و مفسر للقرآن الكريم, ولما كان النحو والإعراب من أدوات المفسرين التي يسخرونها لخدمة كلام الله تعالى واستنطاق نصوصه و استظهار معانيه و استخراج لآلئه وكوامن كنوزه, بل هما – النحو والإعراب - من أهم أدواته, فسخرها الآلوسي كغيره من المفسرين لذلك الهدف السامي ، وقد أخذ يتعرض لنقد أقوال بعض من سبقه من المعربين والمفسرين في إعراب بعض الآيات والمفردات القرآنية التي تتعدد فيها الوجوه الإعرابية

وتتعدد تبعا لذلك أقوال المفسرين والمعربين, فيقوم بعرض تلك الأقوال في المسألة التي اخْتُلِفَ فيها إعرابيا أو يعرض بعض تلك الأقوال ويعرضها للنقد, ثم أنه تارة ينسب الأقوال لقائليها وتارة يترك النسبة وإنما يذكره تحت عدة مصطلحات منها (قيل, جُوِّز ، اعْتُرِضَ, ذُكر . . . إلخ), ثم يميِّز ويرجّح بين الآراء فيختار رأيا ويرجحه أو يجوِّز وجها من الوجوه المذكورة أو أكثر ويرد ما تبقى من الآراء مع ذكر وجه الرد والاختيار أو بغيره فتارة يذكر وجه الترجيح والرفض وتارة يتركه اعتماداً على وضوحه أو يتركه حتى وإن لم يكن الوجه واضحا .

و من البديهي أن الآلوسي لم يصرح بأن ما يقوم به هو نقدٌ نحوي فهو غير معني بذلك, لأن مهمته هي تفسير القرآن الكريم واختيار الرأي الأصوب, وهذا ما قاده إلى عملية التمييز بين الأقوال لمعرفة جيدها من غيره وهو ما يعبر عنه بـــــــ(النقد النحوي)

وكذلك لم يفصح الآلوسي عن المنهج الذي اعتمده في النقد النحوي في كتابه روح المعاني لأنه لم يكن معنيا بموضوع النقد النحوي في هذا الكتاب إنما هو كتاب تفسير للقرآن الكريم, ولكن لما كان الآلوسي متمكنا من علوم اللغة ومتبحرا فيها والتي منها النحو والإعراب, ولما كان القرآن سيد الكلام وأكثره إتقانا لفنون اللغة وقواعدها كان لابد للآلوسي من تسخير إمكانياته اللغوية في استنطاق النص القرآني وتدبُّر صياغاته وسياقاته للوصول إلى بواطنه وكوامنه, وقد خاض العلماء من قبل الآلوسي في هذا الميدان, ومن الطبيعي أن تختلف آراء بعضهم عن بعض في قسم من المسائل النحوية, من هنا احتاج الآلوسي إلى النقد النحوي للتمييز بين الأقوال لمعرفة الصواب من

الخطأ والراجح من المرجوح والمختار من المردود و . . . إلخ, فظهر النقد النحوي في طيات التفسير لهذا الغرض, فهو لم يعقد له بابا من أبواب التفسير أو فصلا من فصوله بشكل مستقل بل جاء به كل ما دعت الحاجة إليه, ولم يذكر المنهج الذي اعتمده فيه - كما تقدم - ولكن يمكن تصيُّد و تحديد ملامح منهج النقد النحوي عنده بما يلي :

1) إنه يتعرض لنقد الآراء النحوية المتعددة في المسألة الواحدة ، أي عندما تتعدد آراء العلماء في مسألة نحوية معينة, فيقوم بعرض تلك الآراء ويناقشها ويميز بعض الأقوال عن بعض فيختار ما يراه راجحا ويرد ما يراه مرجوحا . ولا يكاد يتعرض لنقد رأي متفقٍ عليه, و أمثلة ذلك كثيرة في تفسيره, منها فيما يتعلق بإعراب (رئاء) من قوله تعالى: ﴿**كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ البقرة264 إذ قال فيها: ((وانتصاب (رِئاءَ) إما على أنه علة لينفق أي لأجل ريائهم أو على أنه حال من فاعله أي ينفق ماله مرائيا، وجعله نعتا لمصدر محذوف أي إنفاقا رياء الناس ليس بشيء))[11] فذكر ثلاثة أوجه في إعراب (رئاء) فهي أما مفعول لأجله للفعل (ينفق), أو هي حال من فاعل الفعل (ينفق), ثم ذكر إعرابا ثالثا وردَّه بقوله (ليس بشيء) وهو جعلها نعتا لمصدر محذوف, فتعرض لنقد الأقوال الثلاثة بهذه المسألة فرضي اثنين على نحو التخيير وردَّ الثالث كما مرَّ .

ومنها نقده الأقوال في معنى (أو) في قوله تعالى: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (17) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (18) أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ**﴾ البقرة 17 - 19

إذ قال: ((وزعم بعضهم أن (أو) هنا بمعنى الواو وما في الآيتين تمثيل واحد، وقيل: بمعنى بل، وقيل: للإبهام، والكل ليس بشيء، نعم اختار أبو حيان أنها للتفصيل وكأن من نظر إلى حالهم منهم من يشبهه بحال المستوقد، ومنهم من يشبهه بحال ذوي صيب))[12] تعددت الأقوال في معنى (الواو) في هذه الآية الكريمة, فقيل هي بمعنى (الواو) وإن ما في الآيتين تمثيل واحد, وقيل هي بمعنى (بل), وقيل هي للإبهام, فعرض الآلوسي هذه الأقوال عرض ناقدٍ فردَّها جميعا بقوله (والكل ليس بشيء), ثم استدرك مختارا رأي أبي حيان وهو كونها للتفصيل أي تفصل (أو) حالهم فمنهم من يشبه بحال المستوقد ومنهم من يشبه بحال ذوي الصيب, فلما تعددت الأقوال في هذه المسألة تعرض الآلوسي لنقدها, وهذا من منهجه في النقد .

2) إنه أحيانا يذكر آراءً في مسألة معينة ويختار منها رأيا ويرجحه ويترك الكلام عن بقية الآراء في إشارة إلى عدم قبولها, وأحيانا يرفض منها قولا ويترك الكلام عن بقية الآراء تعبيرا عن قبولها, من أمثلة ذلك جمعه الآراء التي قيلت في معنى (القسطاس) في قوله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ**﴾ الإسراء 35 إذ قال: ((وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ هو القبان على ما روي عن الضحاك ويقال له القرسطون بلغة أهل الشام كما قال الأزهري، وقال الزجاج: هو الميزان صغيرا كان أو كبيرا من موازين الدراهم وغيرها، وقال الليث: هو أقوم الموازين، وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة أنه العدل، وعن الحسن أنه الحديد وهو رومي معرب كما قال ابن دريد لفقد مادته في العربية، وقيل: إنه عربي وروي القول بتعريبه وأنه الميزان في اللغة الرومية عن ابن جبير وجماعة، وقيل: هو مركب من كلمتين القسط وهو العدل

وطاس وهو كفة الميزان لكنه حذف أحد الطاءين لأن التركيب محل تخفيف وهو كما ترى، وعلى القول بأنه رومي معرب وهو الصحيح لا يقدح استعماله في القرآن في عربيته))[13] فذكر عدة أقوال في معنى مفردة (القسطاس) ولم يعلق على شيء منها بسلب ولا إيجاب, إلا على القول بأنه رومي معرَّب فقد قال عنه بأنه (هو الصحيح) مما يدل على أنه اختاره ورفض بقية الأقوال, فهو وإن لم يصرح بذلك ألا أنه جعل جميع الأقوال في قبال الصحيح مما يعني أنها غير صحيحة عنده .

ومنها كذلك ما في إعراب كيف في قوله تعالى: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَ**﴾ محمد 27 إذ قال الآلوسي في إعرابها: ((و(كيف) منصوب بفعل محذوف هو العامل في الظرف كأنه قيل: يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم الملائكة، وقيل: مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أي فكيف حالهم أو حيلتهم إذا توفتهم إلخ، وزعم الطبري أن التقدير فكيف علمه تعالى بأسرارهم إذا توفتهم إلخ، وليس بشيء))[14] فذكر إن (كيف) منصوب بفعل محذوف, وضعَّف القول بأنه مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف, ثم رد قول الطبري إن تقديره (فكيف علمه تعالى بأسرارهم . . .), وهذا يعني أنه اختار الرأي الأول وإن لم يصرح بذلك .

3) بعض الموارد التي يرفضها يبين فيها وجه الرد وبعضها يترك البيان فيها اعتمادا على وضوحها أو لأنه يعدها لا تستحق البيان, وكذلك يفعل فيما يختار, فتارة يوضح الوجه في اختياره وتارة يترك الوجه فيه اعتمادا على وضوحه . مثال مالم يبن فيها وجه الرفض قوله في إعراب سورة الصمد إذ قال فيها: ((﴿ **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** ﴾ أي لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله من

صاحبة وغيرها. وقيل هو نفي للكفاءة المعتبرة بين الأزواج وهو كما ترى))[15] فاكتفى بردِّ ما لم يرتضه من الأقوال بقوله (وهو كما ترى) لوضوح بطلانه بحكم الذوق السليم, فمن المعلوم يقينا أن الله تعالى ليس كمثله شيء .

4) يهتم بآراء كبار النحاة والمفسرين ويوردها دعما لرأيه أحيانا كسيبويه والزجاج والمبرد وثعلب والفراء والرضي والراغب الأصفهاني والطيبي والحوفي وابن هشام وغيرهم, فإذا اختلفوا يقوي آراء بعضهم على بعض وفقا لما يراه, وكذلك يهتم برأي الجمهور . ومن المفسرين الذين يهتم بآرائهم: الزمخشري فيعبر عنه صاحب الكشاف والرازي يعبر عنه الإمام الرازي وأبو حيان الأندلسي وأبو السعود وابن عطية وأبو الحسن الخازن صاحب تفسير لباب التـأويل وجلال الدين السيوطي وغيرهم, ومن أمثلة ذلك قوله في إعراب (الرحمن الرحيم) إذ قال: ((فالأصح أنهما من أبنية المبالغة الملحقة باسم الفاعل وأخذا من فعل متعد وذلك في الرحيم ظاهر وقد نص عليه سيبويه في قولهم رحيم فلانا وكذا الزجاج والصيغة تساعده))[16] فبعد أن ذكر عدة أقوال فيهما نص على أن الأصح أنهما من أبنية المبالغة الملحقة باسم الفاعل وأخذا من فعل متعد, ثم قوى رأيه برأي سيبويه والزجاج, ومنها ما في إعراب قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ** ﴾ البقرة 130 إذ قال الآلوسي: ((وسفه- بالكسر- كما قال المبرد. وثعلب: متعد بنفسه، ونَفْسَهُ مفعول به، وأما سَفِهَ بالضم فلازم))[17] فتبنى رأي المبرد وثعلب بإعراب (سفِهَ) متعد بنفسه, وعليه أعرب (نفسه) مفعولا به. ومنها قوله: ((والمعنى ﴿ **يَسْئَلُونَكَ** ﴾ أي المسلمون أو الكفار عن القتال في الشهر الحرام على أن ﴿ **قِتالٍ فِيهِ**﴾ بدل اشتمال من الشهر لما أن الأول غير واف بالمقصود

مشوق إلى الثاني ملابس له بغير الكلية والجزئية، ولما كان النكرة موصوفة أو عاملة صح إبدالها من المعرفة على أن وجوب التوصيف إنما هو في بدل الكل كما نص عليه الرضي))[18] فبعد أن أعرب (قتال فيه) بدل اشتمال من (الشهر) بيَّن أن صحة إبدال النكرة من المعرفة راجعة لكون النكرة موصوفة أو عاملة, ثم اختار أن وجوب التوصيف هو في بدل الكل, واحتج على ذلك بما نص عليه الرضي .

هذه بعض الشواهد من اعتماده أقوال بعض العلماء السابقين له كمؤيدات لرأيه في العديد من المسائل التي يتعرض لنقدها, وهناك شواهد أخرى[19] بالمضمون نفسه مما يعني أنه قد اتخذ ذلك منهجا في نقد الأقوال واختيار بعضها وردِّ الآخر .

5) مقياسه في الترجيح أن يرجِّح ما عليه شاهد من كلام العرب, أي يرجح تبعا للشاهد, فتارة يرجح قول البصريين, وتارة يرجح قول الكوفيين تبعا للشاهد العربي . مثاله إعرابه لقوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** ﴾ [البقرة: 217]

قال فيها: ((وَكُفْرٌ بِهِ أي بالله أو بسبيله وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ اختار أبو حيان عطفه على الضمير المجرور وإن لم يعد الجار، وأجاز ذلك الكوفيون ويونس والأخفش وأبو علي وهو شائع في لسان العرب نظما ونثرا))[20] فاختار الآلوسي رأي أبي حيان, وهو كون (المسجد الحرام) معطوفا على الضمير في

(وكفر به) مع عدم الحاجة إلى إعادة حرف الجر وفاقا للكوفيين والأخفش وأبي علي لأن هذا الاستعمال شائع في موروث اللسان العربي نظما ونثرا, فبذلك ظهر رأيه النقدي في جواز العطف على الضمير المجرور وإن لم يكرر الجار ؛ لأنه شائع في لسان العرب .

وصرَّح في موضع آخر بعدم اتباعه لقول البصريين تعبدا فقال: ((وما ذكر من امتناع العطف على الضمير المجرور هو مذهب البصريين ولسنا متعبدين باتباعهم، وقد أطال أبو حيان في البحر الكلام في الردّ عليهم، وادعى أن ما ذهبوا إليه غير صحيح، بل الصحيح ما ذهب اليه الكوفيون من الجواز، وورد ذلك في لسان العرب نثرا ونظما))[21] فقوَّى رأي أبي حيان بأن رأيه قد ورد في لسان العرب نظما ونثرا, وهذا الورود هو الفيصل عنده للترجيح بين الأقوال وتمييز جيدها من غيره .

وذكر في موضع آخر مصرحا بأن منهجه في اختيار الرأي السديد هو وجود الشاهد عليه في لسان العرب فقال: ((﴿ **وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا وإنْ نافية وكُلٌّ مبتدأ وتنوينه عوض عن المضاف إليه، ولَمَّا بمعنى إلا ومجيئها بهذا المعنى ثابت في لسان العرب بنقل الثقات فلا يلتفت إلى زعم الكسائي أنه لا يعرف ذلك))[22].

6) بنى في منهجه النقدي على قاعدة أن الأصل عدم التقدير وقد صرَّح بذلك مرارا في تفسيره كما في إعرابه سورة الفاتحة إذ قال: ((وقال بعضهم في الآية حذف والتقدير غير صراط المغضوب عليهم وهو ممكن على هذه القراءة

فيكون غير حينئذ إما صفة لقوله الصراط وهو ضعيف لتقدم البدل على الوصف إذا قلنا به والأصل العكس أو بدل أو صفة للبدل أو بدل منه أو حال من أحد الصراطين والصراط السوي عدم التقدير))[23] فصرَّح بأن الصراط السوي – أي في هذا الشاهد النحوي – هو عدم التقدير, ومنها فيما يتعلق بإعراب قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (71) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ مريم 71، 72 إذ قال في إعرابها: ((وقال بعضهم: إنها دليل على أن المراد بالورود الجثو حواليها وذلك لأن ننجي. وَنَذَرُ تفصيل للجنس فكأنه قيل ننجي هؤلاء ونترك هؤلاء على حالهم الذي أحضروا فيه جاثين، ولا بد على هذا من أن يكون التقدير في حواليها، وأنت تعلم أن الظاهر عدم التقدير والجثو لا يوجب ذلك))[24] .

ومنها قوله: ((وقرأ محمد بن السائب الكلبي وغيره كِتابُ بالنصب على أنه معطوف على مفعول- يتلوه- أو منصوب بفعل مقدر أي ويتول كتاب موسى، والأول أولى لأن الأصل عدم التقدير))[25] فصرّح هنا أنه يتبنى أن الأصل عدم التقدير .

ومنها قوله: ((نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ أي نعرفهم بذلك العنوان وإسناد العلم بمعنى المعرفة إليه تعالى مما لا ينبغي أن يتوقف فيه وإن وهم فيه من وهم لا سيما إذا خرج ذلك مخرج المشاكلة، وقد فسر العلم هنا بالمعرفة ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كما أخرجه عنه أبو الشيخ. نعم لا يمتنع حمله على معناه المتبادر كما لا يمتنع حمله على ذلك فيما تقدم لكنه محوج إلى التقدير وعدم التقدير أولى من التقدير))[26] فصرّح أيضا أن عدم التقدير أولى من التقدير, وهو المطلوب, وكذلك صرّح في غير هذه الموارد من تفسيره بالقاعدة نفسها[27].

7) يتعرض الآلوسي لنقد الآراء الخلافية في المسائل النحوية البحتة إذا كانت لها صلة بإعراب المفردات القرآنية ويترتب عليها تحديد إعراب مفردة قرآنية أو أكثر, فيعرض المسألة الخلافية ويعرض الآراء فيها ويختار منها ما يراه صحيحا, أما ما لم يترتب عليها وجه إعرابي في القرآن فلا شأن له بها ، من أمثلة ذلك رأيه في مسألة إعمال (لكن) المخففة وإهمالها وهي من المسائل الخلافية في النحو, إذ قال فيها: ((. . . وهل يجوز إعمالها إذا خففت؟ فيه خلاف ، والجمع على المنع - وهو الصحيح -))[28] فأعطى رأيه في هذه المسألة الخلافية, وهي مسألة نحوية فاختار ما عليه الأغلب وهو عدم إعمال (لكن) إذا خففت معبرا عنه بأنه (هو الصحيح), وذلك عند إعرابه قوله تعالى: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا** ﴾ البقرة 102 على قراءة من قرأ بتخفيف (لكن)[29].

ومنها رأيه في جواز كون الفاعل ضميرا عائدا على ما اتصل به معمول الفعل المتقدم, وقد اختلف النحاة في جواز ذلك, وذلك فيما يتعلق بإعراب قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)** ﴾ آل عمران 30, إذ قال: ((وقال أبو حيان: إن الظاهر في بادئ الرأي مبني على أمر اختلف النحاة في جوازه وهو كون الفاعل ضميرا عائدا على ما اتصل به معمول الفعل المتقدم نحو غلام هند ضربت هي، والآية من هذا القبيل على ذلك التخريج لأن الفاعل بيودّ عائد على شيء اتصل بمعمول- يودّ- وهو يوم لأنه مضاف إلى تجد كل نفس، والتقدير تودّ كل نفس يوم وجدانها ما عملت من خير وشر مُحْضَراً لو أن بينها إلخ، وجمهور البصريين

على جواز ذلك وهو الصحيح))[30], فتعرض لنقد القولين في المسألة واختار منها قول البصريين وهو الجواز وعبَّر عنه بقوله: (وهو الصحيح) .

الخاتمة

عند مطالعتي لكتاب (روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني) للآلوسي استظهرت ما يلي:

1) إن لعلم النحو والإعراب أهمية بالغة عند المفسرين في كشف معاني القرآن الكريم, وقد سخر المفسرون هذا العلم في تفاسيرهم قبل الآلوسي وكذلك فعل الآلوسي في تفسيره لتحديد معنى المفردة وتحديد موقعها من الجملة وبالتالي تحديد معنى الجملة القرآنية .

2) بين المفسرين أخذ ورَدٌّ في الآراء النحوية التي تختص بإعراب القرآن الكريم مما جعل الآلوسي يعرض آراء بعضهم وينقدها, فتكونت في تفسيره نتيجة لذلك مباحث في النقد النحوي .

3) إن للمفسرين – ومنهم الآلوسي - مصطلحات وألفاظ خاصة يعبرون بها عن آرائهم النحوية قد تكون مختلفة أحيانا عن اصطلاحات النحويين أنفسهم, وكذلك لكلٍ منهم منهج خاص يلتزم به في الإعراب أو تبني بعض الآراء النحوية وردِّ الآخر, لذلك يجب معرفة المصطلحات والمناهج الخاصة بالمفسرين تمهيدا لفهم مباحثهم النحوية ومنها منهج الآلوسي في النقد النحوي .

4) في تفسير الآلوسي مباحث وآراء نحوية قيمة يرد بها على بعض النحاة أو المدارس النحوية, فهي تستحق الوقوف عندها لأجل دراستها وإشباعها بحثا .

5) اتبع الآلوسي منهجا علميا في تقييمه الآراء التي عرَّضها للنقد النحوي في تفسيره ولم يكن نقده قائم على أساس الميول النفسية أو الاستحسان أو غيره, وإنما اتبع منهجا علميا لغرض الوقوف على الحق .

* هوامش البحث *

(1) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر/ عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي ت1335هـ/ 1 / 1450

(2) الأعلام للزركلي 7 / 176

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد بن عبد العظيم الزرقاني / 2 / 84

(4) التفسير ورجاله / محمد الفاضل ابن عاشور / 138 / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر / ربيع الأول 1390

(5) ينظر: معجم المؤلفين / عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني ت1408 / 12 / 175 و علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر / عبد المنعم النمر / 103

(6) العين / الخليل بن أحمد الفراهيدي / 5 / 118

(7) ينظر: تهذيب اللغة / محمد بن أحمد الأزهري ت 370هـ / 9 / 50

(8) العين 3 / 302

(9) معجم ديوان الأدب / إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي / 4 / 3

(10) ينظر: الشعر والشعراء / ابن قتيبة الدينوري ت 276 / 1 / 332, و الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء / أبو عبيد الله المرزباني ت 384هـ / 1 / 69

(11) روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني / الآلوسي / 2 / 34

(12) المصدر السابق 1/ 173

(13) المصدر السابق 8 / 70

(14) المصدر السابق 13 / 230

(15) المصدر السابق 15 / 515

(16) المصدر السابق 1 / 62

(17) المصدر السابق 1 / 385

(18) المصدر السابق 1/ 503

(19) ينظر: المصدر السابق / 1 / 59, و 1 / 65, و 1 / 67

(20) المصدر السابق 1 / 504

(21) المصدر السابق 2 / 395

(22) المصدر السابق 12 / 7
(23) المصدر السابق 1 / 98
(24) المصدر السابق 8 / 439
(25) المصدر السابق 6/ 229
(26) المصدر السابق 6/ 11
(27) ينظر المصدر السابق 1 / 344 و 1 / 546 و 2 / 393 و 3 / 127 و 6 / 229 و 8 / 439 و 9 / 218 وغيرها
(28) المصدر السابق 1/ 339
(29) هي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي / ينظر المصدر السابق 1 / 339
(30) روح المعاني 2 / 122

* المصادر والمراجع *

القرآن الكريم
الأعلام للزركلي /خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت1396هـ) / دار العلم للملايين / الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م
التفسير ورجاله / محمد الفاضل ابن عاشور / 138 / مجمع البحوث الإسلامية / الأزهر / ربيع الأول 1390
تهذيب اللغة / محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت 370هـ) /تحقيق: محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت / الطبعة: الأولى، 2001م
حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر / عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي (ت 1335هـ) تحقيق: محمد بهجة البيطار - من أعضاء مجمع اللغة العربية / دار صادر، بيروت / الطبعة: الثانية، 1413 هـ - 1993 م
روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت1270هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية / دار الكتب العلمية – بيروت / الطبعة: الأولى، 1415 هـ
الشعر والشعراء / أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) / دار الحديث ، القاهرة

العين / أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت170هـ)
تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي / دار ومكتبة الهلال .
معجم المؤلفين / عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (ت 1408هـ)
مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت .
معجم ديوان الأدب / أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت 350هـ) /
تحقيق: د . أحمد مختار عمر, مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس / مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة
مناهل العرفان في علوم القرآن / محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت 1367هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه /الطبعة الثالثة
الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء / أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (ت384هـ).